

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير الجلالين

سورة البقرة

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

	المكان:		تاريخ المحاضرة:
--	---------	--	-----------------

طالب:

وسادسها: أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عُقِبَ ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها طبع على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وترك إياهم في الظلمات.

هم وُصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى **{أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}** لما ذكر ذلك عنهم عُقِبَ ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها طبع على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وترك إياهم في الظلمات.

وسابعها: يجوز للمستوقد أن يكون ها هنا مستوقد نارٍ أن يكون المستوقد وها هنا مستوقد نارٍ لا يرضاها الله تعالى. يعني لتتم المطابقة بين الممثل والممثل به يجوز أن يكون المستوقد ها هنا مستوقد نارٍ لا يرضاها الله تعالى والغرض تشبيه الفتنة التي حاول المنافقون إثارتها بهذه النار فإن الفتنة التي كانوا يثيرونها كانت قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله تعالى: **{كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ}** [سورة المائدة: 64] قد يقول قائل: إن إظهار المنافق لكلمة التوحيد هذا ليس منقبة لهم مع إصرارهم على نعم التكذيب بها والكفر بها وإيقاد النار استفاد منه فهي ممدوحة هذه النار، يقال حتى هذه النار التي أوقدها المستوقد لا يرضاها الله سبحانه وتعالى نتصور أن هذه النار غير مرضية عند الله سبحانه وتعالى نفترض أنها من حطب مغصوب مثلاً، أو المادة التي أشعلت منها النار نجسة مثلاً كونها مغصوبة أظهر، فهذه النار التي أوقدت من الأساس وإن استفاد منها في الدنيا فإن حقيقتها وبال عليه، فهذه النار من هذا الحطب المغصوب وهذه المادة المشعلة المغصوبة لا يرضاها الله سبحانه وتعالى كما أنه لا يرضى كلمة التوحيد التي يبطن خلفها، يعني الذي يطوف على قبر مثلاً والذي يستفيد من قوله لا إله إلا الله؟ هل نقول الجهة منفكة هذه لها أجرها وذلك عليه وزره؟ نعم؟ لا، الجهة غير منفكة، فكون المنافق يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو في حقيقة أمره مكذب لهذه الكلمة نظير النار التي لا يرضاها الله سبحانه وتعالى فهذه الكلمة لا يرضاها الله سبحانه وتعالى وإن ترتبت عليها آثارها في الدنيا كما أن النار وإن كان حطبها مغصوب ومادة الإشعال محرمة ترتبت عليها آثارها أبصر وأمن وستدفاً وحينئذ يكون المثل مطابق.

وثامنها قال سعيد بن جبير: نزلت في اليهود وانتظارهم لخروج الرسول صلى الله عليه وسلم - واستفتحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به فكان انتظارهم لمحمد صلى الله عليه وسلم كإيقاد النار وكفرهم به بعد ظهورهم به كزوال ذلك النور.

لكن الكلام كله في سياق المنافقين **{صُمَّ}** يقدر هم قبلها هم صم عن الحق فلا يسمعون سماع قبول **{بِحَمِّ}** خرس عن الخير فلا يقولونه **{عَمِي}** عن طريق الهدى فلا يرونه فهم لا يرجعون

عن الضلالة" يقول **{صُمّ}** أي هم صم يعني كما قدره المؤلف فهو خبر ابتداء مضمرة في قراءة ابن مسعود وحفصة **{صُمًّا بُكْمًا عُمِيًّا}** بالنصب وحينئذ يكون النصب على ماذا؟ على الذم **{صُمًّا بُكْمًا عُمِيًّا}** منصوب على الذم كما قال تعالى: **{مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا نُفِئُوا}** [سورة الأحزاب: 61] كما قال تعالى: **{وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}** [سورة المسد: 4] كل هذا منصوب على الذم كما أن النصب يكون للمدح، والصمم في كلام العرب الانسداد يقال قناة صماء إذا لم تكن مجوفة صممت القارورة إذا سدتها فالأصم من اسدت خروق مسامعه، والأبكم الذي لا ينطق ولا يفهم فإذا فهم فهو الأخرس وقيل الأخرس والأبكم واحد، والعمى ذهاب البصر فقد عمي فهو أعمى وقوم عمي وأعماه الله تعالى وتعامى الرجل أرى ذلك من نفسه يعني أظهر أنه أعمى وهو في الحقيقة ليس بأعمى، قد يدعي شخص أنه أعمى ليستفيد نعم نصف تذكرة ولهم مخصصات ولهم إكراميات وهذا ما فيه شك أن هذا كرم ممن يعاملهم هذه المعاملة لكن بعضهم يتعامى وهو ليس في الحقيقة أعمى ولذا يقول وتعامى الرجل أرى ذلك من نفسه، كما يقال تماوت يعني إذا مشى مشية المتخشع المتضرع وهي في الحقيقة جبار، وعمي عليه الأمر إذا التبس ومنه قوله تعالى: **{فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ}** [سورة القصص: 66] وليس الغرض مما ذكر نفي الإدراكات عن حواسهم جملة وإنما الغرض نفيها من جهة ما، يعني إذا دعوت المنافق يا فلان يلتفت وإلا ما يلتفت؟ إذا ليس بأصم نعم، إذا قلت له ما اسمك؟ قال فلان بن فلان؟ هو أبكم؟ لا، إذا أشرت له إشارة أو طلبت منه كم؟ قال ما أشوف لا يبصر ويسمع ويتكلم لكن هذه الأدوات وهذه الألات وهذه النعم التي ركبها الله سبحانه وتعالى في الإنسان ليستفيد منها فإذا عطلها ولم يستفد منها ولم يستعملها فيما خلقت له صار وجودها مثل عدمها، بل عدمها خير من وجودها لأنه يثاب على عدمها لكن إذا لم يستعملها فيما يرضي الله وفيما خلقت من أجله فإنه في حكم المعدوم ولذا نفاه الله سبحانه وتعالى نفى عنهم السمع فقال: **{صُمّ}** نفى عنهم النطق فقال: **{بُكْم}** ونفى عنهم الإبصار: **{عُمي}** والمراد بذلك نفى ما ينفع، فهم صم عن سماع الحق عمي عن إبصاره والنظر إليه بكم عن النطق به، تقول فلان أصم عن الخنا قال الشاعر:

أصم عما ساءه سميع.

قال سميع، وقال آخر:

وَعَوْرَاءُ الْكَلَامِ صَمَمْتُ عَنْهَا وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ بِهَا سَمِيعُ

وقال آخر موصياً رجل يكثر الدخول على الملوك ماذا قال له:

ادْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى وَأَخْرُجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَسَ

ادْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى

هل المعنى أنك تغمض عيونك وتقول دلوني؟ لا كأنك ما رأيت شيء

..... وَأَخْرُجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَسَ

يعني لا تبج بشيء من أسرارهم لأنك إذا فتحت عيونك وبديت تناظر وشو هذا هذا خطر عليك منهم وإذا خرجت وأنت مفتوح الأذان تسمع ما يقال فيهم وتنقل ما قالوه لك وما سمعته في مجالسهم فإنك على خطر عظيم ولذا يقول:

اُدْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى وَأَخْرُجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَسَ
قال قتادة: **{صُمَّ}** عن سماع الحق **{بُكْمٌ}** عن التكلم به **{عُمِيٌّ}** عن الإبصار له **{فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}** أي إلى الحق لسابق علم الله فيهم.

وذكر ابن جرير رحمه الله تعالى: أن هذا من المؤخر الذي حقه التقديم. **{صُمَّ بُكْمٌ عُمِيٌّ}** يقول هذا مؤخر في الحقيقة وحقه التقديم، ماذا يكون سياق الكلام يقول معنى الكلام "**{أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}** **{صُمَّ بُكْمٌ عُمِيٌّ}** فهم لا يرجعون **{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ}** أو كمثل صيب إلى آخره. والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.